خطبة صلاة الجمعة 23/ 10/ 2015 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(زاد المسافر–6)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 8، 9].

وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 32، 33].

روى الإمام مسلم وغيره عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«إن الله زَوَى لِي الأرضَ، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أُمَّتي سيبلغ ملكُها ما زُوِيَ لي منها»**.

عنوان خطبة اليوم: **(زاد المسافر –6)**

أيها الإخوة:

من سافر من أهل هذه البلدة المباركة نتوقع منهم أن يكونوا سفراءَ لدينهم دعاةً إلى الإسلام، يضربون في الأرض يسعون لرزقهم وينتشرون في الأرض يدعون لدينهم، ورحم الله التابعي الثقة عَاصِم بن أَبِي النَّجُود صاحب القراءة المتواترة عندما قَالَ: (هَمَّانِ لَابُدَّ لِلْمُؤْمِنِ مِنْهُمَا: هَمُّ الْمَعَاشِ وَهَمُّ الْمَعَادِ).

وفي طريق الدعوة إلى الله يعترض المرءَ شهواتٌ وشبهات، فالشهوات تدفعها بالصلة بالله والشبهات تدفعها بالعلم بدين الله، وها أنا أعرض عليكم في خطبة اليوم وما يأتي بعدها بعض الشبهات التي أثيرت من زمن بعيد عن الإسلام وما زال أهلها يتوارثونها، كَلِبَانٍ اجتره السابقون منهم ثم وضعوه في أفواه اللاحقين ليعيدوا اجتراره.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (8) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (9) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الحج: 8 - 10].

- ما دليلكم أن القرآن كتاب الله، أليس من الممكن أن يكون محمدٌ هو الذي كتبه ثم نُقِلَ عنه وأنتم الآن تتناقلونه على أنه كتاب الله؟

- كيف تدَّعون أن الإسلام دينُ الرحمة وقد انتشر هذا الدين بالسيف والقتال والقهر والغلبة؟

- لماذا يُقتَل المرتد عندكم؟ ألم يقل قرآنكم ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256].

- ما قصة الإسلام والرقيق ولماذا لم يُلغ الإسلامُ نظامَ الرق؟

- هضم الإسلامُ حقَّ المرأة فأعطاها نصف نصيب الرجل في الميراث، وأَذِنَ للرجل بالزواج بأكثر من واحدة، وجعل الطلاق بيده لا بيدها، ومنح الرجل سلطة عليها، وبناء على هذا نرى دينكم ذكورياً.

- نقرأ في القرآن تناقضات عديدة، ففي سورة الطور يتحدث عن يوم القيامة فيقول: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الطور: 25]، وفي سورة المؤمنون يقول: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101].

وحيناً يتحدث عن الأبناء فيقول: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: 46]، ومرة ثانية يقول: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ .....﴾ [التغابن: 14] وغير هذا من التناقضات.

أيها الإخوة:

هذه الشبهات وغيرها ضمها مع الإجابة عليها كتاب نافع طبعته دار الفكر بدمشق، وهو موجود بصيغة الكترونية على الشابكة اسمه: (**الإسلام في قفص الاتهام**)، للدكتور شوقي أبو خليل رحمه الله،

طبع الكتاب طبعته الأولى سنة 1971م، وأعتقد أن طبعاته زادت على العشر طبعات، وترجم إلى عدد من اللغات، والمؤلف جمع الشبهات من أقوال المستشرقين المعاصرين والماضين.

وفي هذا الجمع وهذه الطبعات وهذه الترجمات دليل أن الباطل هو هو يتوارث أهلُه شكوكَه في شرق الأرض وغربها، ويتسلمون وساوسه لينقلها السابق للاحق.

واليوم يتعرض المسافرون وغيرهم في أصقاع الأرض إلى مثل هذه الشبهات ونحوها، بعض الشبهات منقولة بالحرف وبعضها يزيدون عليها شيئاً أو ينقصون.

فليعلم كل أخ أو أخت تعرضوا لمثل هذه المسائل أن هذه الشبهات قديمة، وقد أجاب عنها علماؤنا قديماً وحديثاً، وما علينا إلا أن ندرس ونتعلم ثم ننطلق في الأرض دعاة معلمين.

وأنا أحيل كل من حضر الخطبة أو استمع إليها أو قرأها إلى هذا الكتاب ليفيد منه أجوبة على هذه الأسئلة ونحوها، ويسعني في وقت الخطبة أن أختصر لكم منه الإجابة على السؤال الأول وحده.

ما دليلكم أن القرآن كتاب الله؟ أليس من الممكن أن يكون محمد هو الذي كتبه ثم نقل عنه وأنتم الآن تتناقلونه على أنه كتاب الله؟

يقول المؤلف: هذه الشبهة يعرضها كثير من المستشرقين مثل: يوليوس فلهاوزن، والدكتور بروز أستاذ الفقه الانجيلي في جامعة بيل، والدكتور لوبون في كتابه حضارة العرب.

ويجيب الدكتور شوقي أبو خليل عن الشبهة بقوله:

يمكننا أن نفند هذا الشبهة بأدلة كثيرة منها:

1- إن أسلوب القرآن يخالف مخالفةً تامة أسلوبَ كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمعروف عند أهل البصر الأدبي والباع الطويل في اللغة أنه من المتعذر على الشخص الواحد أن يكون له في بيانه أسلوبان يختلف أحدهما عن الآخر اختلافاً جذرياً.

إذ يستشعر القارئ في فطرته عند قراءة كتب الأحاديث شخصيةً بشرية تعتريها الخشية والمهابة والضعف أمام الله بخلاف القرآن الذي يتراءى للقارئ أمام آياته ذاتٌ جبارة عادلة حكيمة خالقة مصورة.

2- رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمِّيٌّ ما درس ولا تعلم ولا تتلمذ فهل يعقل أنه أتى بهذا الإعجاز التشريعي المتكامل دون أي تناقض، فأقرَّ بعظمة هذا التشريع القريب والبعيد، المسلم وغير المسلم حتى أصبح مصدراً من مصادر التشريع في أوربا.

3- إن نظرة القرآن الكاملة الشاملة المتناسقة للكون والحياة والفكر والمعاملات والحروب والزواج والعبادات والاقتصاد لو كانت من صنع محمد صلى الله عليه وسلم، لما كان محمد صلى الله عليه وسلم بشراً.

إن هذه التنظيمات وهذه التشريعات والآراء تعجز عن القيام بها لجان كثيرة لها ثقافات عالمية وتخصص عميق مهما أُتيح لها من المراجع والدراسات والوقت. فرجل واحد أياً كانت عبقريته، وأياً كانت ثقافته ليعجز عن أن يأتي بتنظيم في مسألة واحدة من هذه المسائل، فما بالك بكلها مع تنوعها وتلون اتجاهاتها وهل يتسنى لأُمّي أن يأتي بهذه النظرة الشاملة في الكون والحياة والفكر ؟

4- لماذا يؤلف محمد صلى الله عليه وسلم القرآن وينسبه إلى غيره ؟ فالعظمة تكون أقوى وأوضح وأسمى فيما لو جاء بعمل يعجز عنه العالم كله، ولكان بهذا العمل فوق طاقة البشرية فيُرفَع إلى مرتبة أسمى من مرتبة البشر، فأي مصلحة أو غاية لمحمد صلى الله عليه وسلم في أن يؤلف القرآن – وهو عمل جبار معجز– وينسبه لغيره ؟

5- في القرآن الكريم أخبار الأولين بما يُغاير أخبارهم في الكتب المتداولة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف جاء بها؟

6- في القرآن إعجاز علمي في الكون والحياة والطب والرياضيات....وذلك بالعشرات بل والمئات، فهل يُعقل أن هذا الأُمّي قد وضعها ؟ كيف عرف الأُمّي كروية الأرض ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [النازعات: 30]، ونظرية انتشار الكون ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47] و نظرية الانفجار الكبير ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ [الأنبياء: 30]، وأن كمية الهواء في الأجواء تقل إلى درجة أن الإنسان يضيق صدره فيها ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: 125]، وأن الشمس والقمر يَسبحان في هذا الفضاء ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40].

7- في القرآن عتبٌ ولومٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مواضع عديدة: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: 1، 2] ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: 43] ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 67] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحريم: 1]

فهل يُعقل أن يؤلف محمدٌ صلى الله عليه وسلم الكتابَ ثم يوجه فيه العتاب إلى نفسه ؟

بل إن حوادث عديدة قام بها رسول صلى الله عليه وسلم آنياً مع أصحابه ثم تبدلت في نص القرآن فلم يجد في نفسه غضاضة، فلو كان القرآن من عنده لما قام بها ودوَّنها، لغَيَّرها وعمل الأنسب دون تسجيل الحادثة.

8- كانت تنزل برسول الله صلى الله عليه وسلم نوازل وأحداث من شأنها أن تحفزه إلى القول، وكانت حاجته القصوى تلح عليه بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالاً ومجالاً، ولكن كانت تمضي الليالي والأيام تتبعها الليالي والأيام ولا يجد في شأنها قرآناً يقرؤه على الناس.

فقد حدث أن سُئِل عن أهل الكهف فقال: إنه سيرد عليهم غداً، على أمل أن ينزل الوحي بالرد ولكنه لم يقل: إن شاء الله، فتأخر نزول الآيات، وتحدث الناس بحديث الإفك وما نزل الوحي أياماً كثيرات، ثم نزلت الآيات مبرئة السيدة عائشة، فلو كان القرآن من صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخَّر الردَّ هذا التأخير.

وبعد:

هذه ثماني أدلة تدل على أن القرآن الكريم كتاب الله، ساقها الدكتور شوقي أبو خليل في كتابه النافع (**الإسلام في قفص الاتهام**) للرد على شبهة من يقول: إن القرآن من صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأجاب في كتابه هذا على غيرها من الشبهات، وإني أحيل الإخوة الكرام والأخوات للكتاب ليفيدوا منه ويزدادوا ثقة بهذا الدين الحنيف.

اللهم احفظ علينا ديننا وإيماننا، واحم شبابنا وبناتنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وسلِّم من سافر من أهل هذه البلدة، وعجل للشام بالفرج وجعله محفوفاً بلطفك.

والحمد لله رب العالمين